

مجالس في تدبر القرآن | (830) قوله تعالى: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لما ذكر الله تبارك وتعالى ما وقع لبني اسرائيل حينما جاء موسى لميقات ربه وذلك انهم عبدوا العجل - [00:00:00](#)

ثم تاب الله تبارك وتعالى عليهم بعد هذا الجرم الشنيع قال الله بعد ذلك واذا اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون يعدهم عليهم نعمه والاءه وفي هذا الميقات الذي كلم الله عز وجل - [00:00:24](#)

موسى صلى الله عليه وسلم به وانزل عليه التوراة واذا اتينا موسى الكتاب واذكروا نعمتنا عليكم اذا اتينا موسى الكتاب اعطينا موسى الكتاب والفرقان فهذا الكتاب وصفه الله تبارك وتعالى بهذا الوصف. انه فرقان - [00:00:47](#)

يفرق الله عز وجل به بين الحق والباطل والمقصود بذلك التوراة. وذلك من اجل ان يهتدوا لعلكم اي من اجل هدايتكم وذكرنا في بعض المناسبات ان بعض اهل العلم يقول كل لعل - [00:01:14](#)

في القرآن فهي للتعليل الا في موضع واحد وهو قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون اي كانكم تخلدو ومن اهل العلم من حمل لعل على بابها وهي انها للترجي والله تبارك وتعالى لا يقع منه الترجي. لان الترجي انما يكون ممن لا يعلم عواقب - [00:01:33](#)

الامور. والله بكل شيء عليم وخرجوا ذلك باعتبار ان الخطاب روعي فيه حال المخاطبين لعلكم تهتدوا هذه الاية ايها الاحبة يؤخذ منها ان انزال الكتب نعمة من الله جل جلاله وتقديست اسماؤه - [00:01:59](#)

بل هي من اعظم النعم واجلها لان الناس لا يمكن ان يعرفوا حقائق الامور لا يمكن ان يعرفوا كثيرا من الغيوب الا عن طريق الوحي الامور الغائبة عنهم في الزمن الماضي - [00:02:24](#)

والامور الغائبة عنهم في المستقبل ما يتعلق بالله والدار الآخرة كيف تصل العقول الى مثل هذه الامور مهما كانت هذه العقول ومهما اوتيت من القدر والامكانات والذكاء فان الامور الغيبية غائبة - [00:02:43](#)

عنها فالوحي هو الطريق الى معرفتها. قد يدرك العقل جملا من صفات الله تبارك وتعالى ودلائل ربوبيته ووحدانيته ونحو ذلك ولكنه لا يدرك ذلك على التفصيل الا عن طريق الوحي - [00:03:04](#)

وهكذا في محاب الله ومساخطه وشرائع الايمان فان ذلك انما يعرف عن طريق الوحي وقل مثل ذلك ما يتعلق بالدار التي يصير الناس اليها واوصاف هذه الدار فان هذا انما يعرف بطريق - [00:03:24](#)

الوحي فهذا الوحي وهذه الكتب يتوصلون بها الى المعارف الكبرى التي تتوقف عليها سعادتهم وفلاحهم ونجاتهم فبها يعرفون المعبود وبها يعرفون الطريق التي رسمها لعباده وبها يعرفون الدار التي يصيرون - [00:03:46](#)

اليها ويؤخذ من هذه الاية ايضا ان انزال هذه الكتب انما هو لغاية عظمى لغاية كبرى وهي بيان الحق وهداية الخلق فالله تبارك وتعالى هنا يذكر انه اتى موسى الكتاب والفرقان - [00:04:13](#)

قال لعلكم تهتدون اذا هذه الكتب نزلت من اجل الاهتداء ولم تنزل هذه الكتب من اجل ان تتلى فحسب ان يتلوها المسلم من اجل ان يحصل الحسنات والاجر والثواب فهذا مطلوب بلا شك - [00:04:36](#)

ولكن المقصود الاساس والاهتداء بها وانما طريق الاهتداء التدبر ان يتدبرها ليعقل عن الله تبارك وتعالى مراده فمن اراد الهداية فعليه

بي تدبر القرآن فهو اصل الهداية وينبوعها ولا بد من ذلك والا - 00:04:56

الضلال سيكون حليفه ثم قال الله تبارك وتعالى واذا قال موسى لقومه يا قومي انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم. فتاب عليكم انه هو التواب - 00:05:29

الرحيم واذكروا اذ قال موسى اذكروا نعمتي عليكم حين قال موسى عليه السلام لقومه انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها حيث وضعت العبادة في غير من خلق وجعلتم الاله عجلا مصطنعا - 00:05:55

فهذا من اعظم افضل فتوبوا الى بارئكم الى خالقكم الذي اوجدكم من العدم وذلك بان يقتل بعضكم بعضا فاقتلوا انفسكم ذلك القتل خير لكم عند خالقكم وربكم وبارئكم من العقوبة - 00:06:21

التي تنتظركم وهي النار فامثلتم ذلك فتاب عليكم فمن عليكم بقبول توبتكم وفقكم للتوبة وقبلها منكم انه هو التواب لمن تاب من عباده الرحيم بهم تواب كثير التوبة على العباد - 00:06:45

على كثرة ذنوبهم معاصيهم وعلى كثرة هؤلاء العباد فيؤخذ من هذه الاية انه ينبغي من يخاطب الناس في دعوتهم الى ربهم تبارك وتعالى ان يستعمل معهم كما سبق الاسلوب الذي - 00:07:10

تقبله نفوسهم وتنقاد اليه ارواحهم وموسى صلى الله عليه وسلم بعد هذا الجرم الشنيع عبادة العجل واستضعاف هارون عليه الصلاة والسلام والهم بقتله والشماتة به يقول لهم موسى عليه الصلاة والسلام - 00:07:34

يا قومي انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل. فتوبوا الى بارئكم خاطبهم بهذا الكلام الذي هو في غاية اللطف وهم قد جنوا اعظم جناية فينبغي ان يراعى هذا في خطاب الناس فالعبارات الموحشة - 00:07:57

العبارات المنفرة العبارات التي من شأنها ان تصرف الناس عن القبول ينبغي ان تجتنب يخاطب الناس بالخطاب اللائق اذا كان المراد هو القبول والانقياد اما اذا كان المراد وتنفيذ هؤلاء الناس او تكسير هؤلاء الناس فذلك شأن - 00:08:21

اخر وقد ذكرت في بعض المناسبات ما ينبغي للخطيب مراعاته من اختيار العبارات المناسبة وابتعد في العبارات الموحشة من توجيهها بضمير الخطاب فيقول لهم انتم تفعلون كذا انتم يصدر عنكم كذا - 00:08:46

انتم اذا فعلتم كذا ادخلكم الله النار واذا فعلتم كذا انزل الله بكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين وكأنه وقف على المنبر يجرم هؤلاء ويسمعه العبارات التي تثقل على - 00:09:08

مسامعهم مثل هذا لا يحسن ولا يليق فهذا الخطاب اللطيف بهذا التودد يا قومي يقررهم بذنبهم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل. فذكر لهم موجب التوبة ثم بعد ذلك حثهم عليها فتوبوا - 00:09:28

ثم انظر ماذا جاء بعدها توبوا الى من توبوا الى بارئكم وهذا الجرم الذي عملوه ما هو باتخاذكم العجل شيء لا يعقل ولا تقبله النفوس السوية ومع ذلك فعلتموه فتوبوا الى - 00:09:48

الى بارئكم كيف تجعلون انفسكم متذلة لمن لا يملك لها نفعا ولا ضرا يخاطبهم بهذا عليه الصلاة والسلام. يقول انتم اشرف من هذا العجل المصنوع الذي صنعتوه بايديكم فهذا اسوأ - 00:10:11

الظلم وذلك ان الانسان ينبغي له ان يترفع عن عبادة غير الله تبارك وتعالى فالله هو الذي خلقه واوجده وكرمه وجعله في احسن تقويم فالعبادة يصرفها له وحده ولا يزل لغير الله - 00:10:30

جل جلاله وتقديست اسمائه مثل هذا تدركه الفطر السليمة والعقول الصحيحة فهذا الذي فعلوه بانفسهم هو ظلم عظيم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم والباء هنا للسببية يعني بسبب اتخاذكم العجل وكما ترون انه حذف - 00:10:54

المفعول الثاني باتخاذكم العجلة الها او معبودا لكنه حذف كما قلنا في جميع المواضع في القرآن قال بعض اهل العلم لانه لا يتصور او لا يليق ان يتفوه بمثل هذا - 00:11:23

عجل ويكون اله وانظروا اثر العجل عبادة العجل على اليهود كيف صاروا يعبدون الذهب وهذا مشاهد في ارجاء المعمورة ولا حظوا هنا التعبير بلفظ الباري مرتين انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل - 00:11:41

فتوبوا الى من؟ ما قال الى الهكم الحق وانما قال فتوبوا الى بارئكم فتوبوا الى بارئكم ثم كررها مرة اخرى فقال فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فالبارئ سبحانه - [00:12:09](#)

وتعالى هو الذي اوجدهم من العدم براءهم اوجدهم بعد ان كانوا عدم فكيف تتخذون عجلا صنعتموه بايديكم وتتركون وتعرضون عن المستحق للعبادة وهو البارئ الموجد من العدم. وقد ذكرنا في بعض المناسبات في قوله تعالى مثلا يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم - [00:12:33](#)

والذين من قبلكم وقلنا ان الامر بعبادة الله عز وجل كثيرا ما يقرن في القرآن ب هذا الخلق الذي خلقكم. فمن خلق هو المستحق لان يعبد وحده دون ما سواه. فهنا ذكر لفظ البارئ الموجد من العدم هذا الذي يستحق ان - [00:13:02](#)

يعبد لا ان يعبد العجل المصنوع الذي صنعتموه بايديكم وقلتم فيه ما قلتم من الفرية الكبرى بانه اله ولهذا لاحظوا انه كرر لفظ البارئ فتوبوا الى بارئكم للتوكيد الاصل الاضمار - [00:13:25](#)

قال انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم عنده والضوائر تختصر فاذا اعاد ما يصلح في موضعه الضمير فآظهره هذا الذي يسمونه الاظهار في موضع - [00:13:52](#)

الاضمار فهذا يكون لملحظ بلاغي فهنا هذه القضية تتعلق بالعبادة هؤلاء عبدوا عجل ويؤكد عليهم هذا البارئ هو الذي يستحق ان يعبد فاعاده مرتين وهذا فيه ما فيه من هذا الملحظ - [00:14:17](#)

والله تعالى اعلم هذا الفعل هذه التوبة هي خير لكم عند الذي اوجدكم وانشأكم الذي اوجدكم من العدم توبتكم هذه خير عنده من بقائكم على هذه الحال من عبادة عجل مصنوع لا ينفع - [00:14:38](#)

ولا يضر ثم يؤخذ من قوله تبارك وتعالى فتوبوا الى بارئكم فتوبوا قلنا في مناسبات سابقة بان الفاء تدل على التعقيب المباشر فتوبوا فيؤخذ من هذا ان التوبة انها واجبة على - [00:15:02](#)

الفور لا يؤجل التوبة يجب على الانسان ان يتوب مباشرة ولا يسوف ويقول اذا حجيت او اذا تزوجت او اذا بلغت الاربعين وانما يبادر فها نحن نرى اقواما قد حجوا - [00:15:22](#)

ولم يوفقوا للتوبة ونرى اقواما قد شابت مفارقهم ولم يوفقوا للتوبة العبد يجب عليه ان يبادر ولا يدري في اي لحظة يختطف ويموت ولا يدري الانسان هل يوفق للتوبة او لا - [00:15:38](#)

وكما ذكرنا في قوله تبارك وتعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه عشرون يحول بين المرء وقلبه - [00:15:58](#)

يريد التوبة فلا يتمكن لماذا؟ لانه اعرض عنها لم يبادر اليها فهذه امور مصيرية يتعلق بها مصير الانسان. المستقبل الحقيقي فلا تفريط تشبث بها. يحرص عليها يحرص على الهداية يقبل بكليته بقلبه بكامله على - [00:16:15](#)

الهدى والايمان ويبادر الى التوبة ويجدها دائما شيخ الاسلام رحمه الله كان يقول بانه يجدد اسلامه في كل يوم ويقول ما صح لي اسلام الى اليوم وهذا الكلام قد يظنه الانسان في بعض الاحيان من باب التواضع - [00:16:40](#)

ولكنه عند التأمل يظهر ان هذا الكلام صحيح النقص الذي يعتور الانسان والتقصير الكثير في جوانب كثيرة والجهل الذي من شأنه ان يخفى عليه كثير من الامور الشرعية والاحكام والراجع - [00:17:00](#)

بمسائل الخلاف وما الى ذلك يحتاج معه الى ان يصحح دائما يصحح النية والقصد الاخلاص صحح العمل يراجع نفسه من التقصير من المعصية ويجدد دائما لانه لان الايمان يخلق في الجوف - [00:17:20](#)

كما يخلق الثوب ويحتاج الى تعاود وتجديد ولاحظوا ايضا هذه الجملة فاقتلوا انفسكم. المعنى فليقتل بعضكم بعضا. لماذا قال اذا فاقتلوا انفسكم؟ تنزيلا للنفوس المتفقة في امر متحد كالايمان منزلة النفس الواحدة - [00:17:40](#)

ولهذا قال فاقتلوا انفسكم اي فليقتل بعضكم بعضا وقد قال بعض المفسرين وهي من اخبار بني اسرائيل فالله اعلم بها قالوا انه قتل منهم في يوم واحد سبعون الفا قيل القي عليهم الغمام - [00:18:10](#)

السحاب الابيض الرقيق فصار الواحد لا يرى وجهه الاخر فيضرب بالسيف من امامه. فيقتل الرجل اباه وابنه اخاه وهو لا يشعر حتى حصلت فيهم مقتلة عظيمة ثم رفع ذلك عنهم وحصلت هذه التوبة - [00:18:30](#)

من الله تبارك وتعالى لهم. فكانت توبتهم هذه ويؤخذ من هذه الاية سعة رحمة الله عز وجل بعباده سعة رحمة الله بهؤلاء العباد بتوفيقهم للتوبة وقبول التوبة منهم وسعة رحمة الله عز وجل بهذه الامة محمد صلى الله عليه وسلم - [00:18:50](#)

انظروا الى توبة بني اسرائيل كيف كانت فاقتلوا انفسكم توبة عظيمة شاقة صعبة قتل النفوس ولكن هذه الامة المرحومة التوبة ما على الانسان الا ان يندم ويقنع ويعزم ان لا يعود - [00:19:11](#)

ثم بعد ذلك تبدل سيئاته حسنات ما يحتاج انه يقتل نفسه ولا يقتل غيره فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم يؤخذ من هذا اثبات هذا الاسم لله عز وجل البارئ - [00:19:32](#)

وهو متضمن لصفة البرء الاليجاد من العدم وقد تكلمنا على هذا المعنى في الكلام على الاسماء الحسنى والفرق بين البارئ والخالق و المصور وقلنا البارئ الموجد من العدم وتكلمنا عن الفرق - [00:19:52](#)

بين البرء والبرء اصل هذه المادة فان احدهما تدل على الاليجاد من العدم والثانية تدل على مزينة الشيء حينما يبرأ العليل المريض يكون قد فارق العلة وهكذا فان الخالق يأتي بمعنى المقدر - [00:20:11](#)

ويأتي بمعنى الموجد والمنشئ من العدم فيكون بمعنى البارئ بهذا المعنى الثاني والمصور يكون بمعنى المشكل الذي اعطى هذا المخلوق صورة وهيئة تخصه لكن اذا ذكر البارئ وحده دخل فيه معنى - [00:20:35](#)

الخالق فهنا اثبات هذا الاسم وكذلك ايضا التواب والرحيم التواب الرحيم يبعثان على الامل ربنا الذي نعبد تواب تواب فتوبته على عباده تارة تكون بتوفيقهم للتوبة وتارة بقبولها منه تواب كثير التوبة - [00:20:57](#)

وكذلك رحيم صيغة مبالغة فهو كثير الرحمة عظيم الرحمة يقول الله عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمنا واستوى على اوسع المخلوقات واعظمها وهو العرش باوسع الصفات الرحمن - [00:21:25](#)

على العرش استوى ثم قال الله تبارك وتعالى فتاب عليكم لاحظوا هذا يسمونه التفات كما ذكرنا في بعض المناسبات السابقة هناك واذ قال موسى لقومه يا قومي انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل. فتوبوا الى بارئكم - [00:21:51](#)

فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فموسى صلى الله عليه وسلم يخاطبهم ثم جاء بعد ذلك الخطاب بالغيبة عليكم فتاب عليكم فهذا يسمونه التفات من التكلم الى الغيبة ما قال - [00:22:18](#)

وفقكم او فوفقتكم الى التوبة فتبت عليكم فتاب عليكم ثم لاحظوا عليكم صار ذلك ايضا الضمير ضمير الخطاب يعني ما قال فوفقتكم فتبت عليكم ولم يقل فتاب عليهم بضمير الغائب - [00:22:42](#)

مع ان الضمير للقوم واذ قال موسى لقومه اذى غائب قال فتاب عليكم فجاء بي الخطاب هذه نعمة اراد تذكيرهم بها فخاطبهم بذلك مباشرة ما قال فتاب عليهم هذا ما يتعلق بهذا - [00:23:12](#)

الموضع من هدايات واسأل الله عز وجل ان ينفعنا واياكم بما سمعنا وان يجعلنا واياكم هداة مهتدين اللهم ارحم موتانا واشفي مرضانا وعافي مبتلانا واجعل اخرتنا خيرا من دنيانا والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه - [00:23:38](#)